بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ الأنعام: ٣ ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ البقرة: ٢٣٥.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ المجادلة: ٧

وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا وقرةَ أعيُنِنا محمداً عبدُه ورسولُه، أرسله ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ الصف: ٩ ، التوبة: ٣٣.

وخاطبه بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ الأحزاب: ٤٥ - ٤٧.

وبقوله تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ القلم: ١ - ٤.

ووصفه بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ آل عمران: ١٦٤.

وبقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة: ١٢٨.

اللهم صلِّ وسلِّم أفضل الصلاة وأزكى التسليم على عبدِك وحبيبِك سيدِنا محمدٍ الهادي إلى صراطِك المستقيم، وعلى آلِه وأهلِ بيته المقترنينَ بالقرآنِ لن يتفرَّقا حتى يرِدا عليه الحوضَ يوم القيامة، وعلى أصحابه المهاجرين والأنصار أهل السَّبْقِ والفضلِ والكرامة، وعلى تابعِيهم بإحسان، وعلى آبائه وإخوانه من النبيين والمرسلين، وآلهم وصحبهم والملائكة المقربين، وجميع عباد الله الصالحين.

أما بعد.. فهذا بيانٌ موجَزٌ كافٍ شافٍ عن حقيقة التصوف، وسماتِ أهلِ طريقه، ينتفعُ به إن شاء الله تعالى المستبين والمستهدي والمُنصِف ومَن شاءَ الله مِن عبادِه، وسَّع الله النفعَ به لمصنِّفه وقارئه وكاتبه وسامعه، وأمةِ النبي محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

التصوف

التصوف هو: حسنُ العمل والاتِّصاف بمقتضى خطابِ الحقِّ سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ذوقاً وتحقُّقاً.

فهو الارتقاءُ بعلمِ اليقين إلى عينِ اليقين وحقِّه.

وهو السعي والصعود بسُلَّم الإسلام والإيمان إلى نيل مراتبِ القربِ والمعرفة الخاصة بالله والمحبةِ الخالصةِ مِن الله ولله.

وهو حسنُ الاتباع لسيدِنا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وحصول ثمرته مِن محبة الله عز وجل.

الصوفي:

فمن بلغ ثمرةَ حسنِ العمل والاتصاف بمقتضى خطاب الله عز وجل ورسوله المصطفى ذوقاً وتحقُّقاً، فهو الصوفي.

فلا يسمى صوفيًّا إلا مَن وصل إلى رتبة عين اليقين، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: **(الإحسان: أن تعبدَ اللهَ كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)**. رواه أحمد والبخاري ومسلم وابن ماجه عن أبي هريرة، ورواه النسائي عن أبي هريرة وأبي ذر معا.

أما مَن والاهم وسار في طريقهم مجتهداً ولم يبلغ بعد مرتبةَ عين اليقين فهو متصوف، ليس بصوفي.

وأما مَن والاهم ولم يكمُل اجتهادُه في السير بسيرِهم فهو المتشبه بهم.

قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: **(مَن تشبَّه بقومٍ فهو منهم)** رواه أحمد وأبو داود والنسائي والحكيم الترمذي والبيهقي في شعب الإيمان والطبراني وعبد ابن حميد وابن أبي شيبة والبزار.

قال الإمام عبد الله بن أبي بكر العيدروس في كتابه الكبريت الأحمر:

الصوفي: السالك الواصل.

والمتشبّه: المتمسك بالطريق المحب لهم.

ومتشبِّه المتشبه: المؤمن بطريقهم المحب لهم.

ومَن أحبَّ قوماً كان منهم، وفي الحديث الصحيح: **(المرءُ مع مَن أحب)**[1]. أهـ.

1) رواه البخاري ومسلم.

سمات أهل التصوف

فسمات أهل طريق التصوف:

السمة الأولى:

العلمُ بالكتابِ والسنةِ.

وذلك أصل التصوفِ، إذ بدونه لا يمكن قطعا حسن العمل والاتصاف بمقتضى خطاب اللّه ورسوله، بل لا يمكن مجرد العمل والاتصاف، فضلا عن أن يتم إحسانه، فضلا عن أن يتم ذوقه أو التحقق به.

وحسبك أنه لا يمكن أن يوجدَ في واقعِ الأمة اليومَ سندٌ صحيحٌ متصلٌ لقراءة من قراءات القرآن الكريم، ولا لتفسير أحد من الصحابة والتابعين، ولا لكتاب من كتب التفسير المعتبرة المشهورة من القرن الثالث الهجري فما قبله، ولا لحديث من أحاديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وصحبه وسلم، أو لكتاب من كتب السنن المعتبرة كموطأ الإمام مالك ومسند الإمام أحمد والصحيحين والسنن الأربعة وغيرها، ولا لكتاب من كتب فقه الشريعة المطهرة للأئمة المعتبرين في المذاهب الأربعة.. إلا عن طريق أهل التصوف.

وهذا الواقع الذي لا يمكن انكاره دلالةٌ واضحةٌ قاطعة أن أهل التصوف هم حملة وحماة علوم الكتاب والسنة وفقه الشريعة المطهرة.

قال الإمام عبدالكريم القشيري في رسالته: وقال الجنيد: من لم يحفظ القرآن الكريم ولم يكتب الحديث لا يُقتدَى به في هذا الأمر، لأن علمَنا هذا مقيَّد بالكتاب والسنة.

وروى في رسالته أيضا بسنده عن الجنيد أنه قال: مذهبُنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة. وقال: عِلمنا هذا مشيَّد بحديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وصحبه وسلم.. أهـ.

وأورد القولة الأولى عن الجنيد الإمام ابن رجب الحنبلي في جزئِهِ بيان فضل علم السلف على علم الخلف، وأبو الفرج ابن الجوزي في تلبيس ابليس.

قال صلى اللّه عليه وآله وصحبه وسلم: **(من يرد اللّه به خيراً يفقهه في الدين)** رواه البخاري ومسلم.

قال الإمام أبوبكر العدني بن عبداللّه العيدروس:

أرى طُـرُقَ الحقيقـة   قلـيلاً سـالكيها
وأضحى كلُّ جاهل   بـلا شـيءْ يـدَّعيها
بـلا علـم وعمـل   محـالٌ يرتقيهـا

وقال الإمام عبدالرحمن بن محمد السقاف: كلُّ علمٍ بلا عملٍ باطلٌ، وكلُّ علمٍ وعملٍ بلا نيَّةٍ هباءٌ، وكلُّ عملٍ وعملٍ ونيَّةٍ بلا موافَقَةِ سُنَّةٍ مردُودٌ، وكلُّ علمٍ وعملٍ ونيَّةٍ وسُنَّةٍ بلا وَرَعٍ خُسْرَانٌ، يُخشى على صاحبه عند المقاصَّةِ والموازَنَةِ ذهابُه.

السمة الثانية:

اهتمامهم بالقلوب وصفاتها وأعمالها، وتزيينها للحق سبحانه وتعالى، لأنها محل نظره، وذلك مقتضى الإحسان.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: **(الإحسان أن تبعد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)** رواه أحمد والبخاري ومسلم وابن ماجة عن أبي هريرة ورواه النسائي عن أبي هريرة وأبي ذر معا ورواه مسلم وأبو داؤود والترمذي وقال: حسن صحيح والنسائي عن عمر.

والإحسان: هو المفضي إلى المعرفة الخاصة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: **(إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)** رواه أحمد ومسلم وابن ماجة وابن حبان والبيهقي والديلمي.

قال الإمام الغزالي في كتاب المنقذ من الضلال: وعلمت أن طريقتهم ـ يعني الصوفية ـ إنما تتم بعلم وعمل، وكان حاصل علومهم قطع عقبات النفس، والتنزه عن أخلاقها المذمومة، وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى وتحليته بذكر الله..

ثم قال: فظهر لي أنَّ أخصَّ خواصهم ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلُّم، بل بالذوق والحال وتبدُّل الصفات، وكم من الفرق أن تعلَمَ حدَّ الصحة وحدَّ الشبع وأسبابهما وشروطهما وبين أن تكون صحيحا وشبعانا، والطبيبُ في

حالة المرض يعرف حدَّ الصحة وأسبابها وأدويتها وهو فاقد الصحة، فعلمتَ يقينا أنهم أربابُ الأحوال لا أصحاب الأقوال..

ثم قال: فماذا يقول القائلون في طريقة طهارتها ـ وهي أول شروطها ـ تطهير القلب بالكلية عما سوى اللّه تعالى، ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة: استغراق القلب بالكلية بذكر اللّه، وآخرها الفناء بالكلية في اللّه، وهذا آخرها بالإضافة إلى ما يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب من أوائلها، وهي على التحقيق أول الطريقة، وما قبل ذلك كالدهليز للسالك إليه. أهـ.

وفي تقرير أن مطمح نظرهم إلى القلوب والحقائق دون المظاهر والصور قال الإمام أبوبكر العدني ابن عبداللّه العيدروس:

تظن السماع سماع الدفوف ... أو ان التصوف لباسك لصوف
أو الوجد هو التصدية ... فلا يعتقد ذاك إلا سخيف
سماع الرجال شهود وحال ... بحق اليقين ونفي المحال
وشوق وذوق لمعنى الجمال ... بقلب نقي وجسم عفيف

وقال الإمام عبداللّه بن علوي الحداد :

ماذا يقول المنكرون ... فيمن له قبل سليم
على جميع المسلمين ... وقصده المولى الكريم
ويعتقد في نفسه ... بأنه عبد ذليل
لولا عناية ربه ... لكان بطالا ضلول
اللّه حسبي وكفى ... قل ما تشاء يا ذا

السمة الثالثة:

الإخلاص.

فقد عظمت عنايتهم بتحقيق الإخلاص للّه تعالى، ودققوا في محاسبة أنفسهم على ذلك، وفروا من أدنى قصد لغير اللّه، وأدنى إرادة لغيرة وجهه الكريم في نياتهم وأفعالهم وأقوالهم وأخذهم وتركهم.

قال تعالى: ﴿ **أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** ﴾الزمر: ٣.

وقال صلى اللّه عليه وآله وصحبه وسلم: **(إنما الأعمال بالنيات)** رواه البخاري ومسلم وعامة أصحاب السنن.

قال الحارث المحاسبي في رسالة المسترشدين: واعلم رحمك اللّه أن الصدق والإخلاص أصل كل حال، فمن الصدق يتشعب الصبر والقناعة والزهد والرضا والأنس، وعن الإخلاص يتشعب اليقين والخوف والمحبة والحياء والإجلال والتعظيم.

ثم قال: وأما شعب الإخلاص: فلا يسمى المخلص مخلصا حتى يفرد اللّه عز وجل من الأشباه والأمثال، والصاحبة والأولاد، ثم إرادته اللّه بإقامة التوحيد، وجمع الهم له وبه في النفل والفرض. أهـ.

وقال الإمام القشيري في رسالته: الإخلاص إفراد الحق سبحانه في الطاعة بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى اللّٰه سبحانه، دون شيء آخر من تصنع لمخلوق أو محمدة عند الناس أو محبة مدح الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب به إلى اللّٰه تعالى.

وروى بسنده عن الفضيل قال: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك اللّٰه منهما. أهـ.

ولذلك أحجموا وأعرضوا عن كثير من الأعمال الظاهرة التي للنفوس إليها ميل، ولها فيها غرض ومطمع، ما لم تصح وتصفو فيها النية وإن عظمت في نظر العوام، وقد أبى ورفض الإمارة والولاية على عهد الخلفاء الراشدين وكثيراً من الصحابة.

ولذلك أيضا حرصوا على إخفاء ما قدروا من أعمالهم الصالحة وصفاتهم الطيبة الحسنة، وكتمان أحوالهم الفاضلة الشريفة.

السمة الرابعة:

الصدق.

وهو: اجتماع جميع قوى الظاهر والباطن على الأمر، وذلك يقتضي الاتقان ببذل الوسع وشهود المنة للحمن بنفي العجب، فكما أن المخلص لا رياء له فالصادق لا عجب له.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ التوبة: ١١٩.

وقال الله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ ﴾المائدة: ١١٩.

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥ ﴾ القمر: ٥٤ - ٥٥.

وقال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾يونس: ٢.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: **(إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا)** رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن حبان عن بان مسعود.

قال الإمام الحارث المحاسبي في رسالة المسترشدين: واعلم أن العاقل لما صح علمه وثبت يقينه عَلِمَ أن لا ينجّيه من ربه إلا الصدق، فسعى في طلبه

وبحث عن أخلاق أهله، رغبة في أن يحيا قبل مماته ليستعد لدار الخلود بعد وفاته، فباع ماله ونفسه من ربه حيث سمعه يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾التوبة: ١١١. أهـ.

قال الإمام القشيري في رسالته: والصدق عماد الأمر، وبه تمامه، وفيه نظامه.. ثم قال: وأقل الصدق استواء السر والعلانية..

وروى بسنده عن سهل بن عبدالله قال: لا يشم رائحة الصدق عبد داهن نفسه أو غيره. أهـ.

ولصدقهم قبلوا نصيحة من ينصحهم، من كبير وصغير، وفرحوا بها، بل استفادوا من كلام من يبغضهم ويعاديهم، وقال قائلهم: أحب الناس إلي من أهدى إلي عيوبي.

ولصدقهم يفرح أحدهم بإقبال الناس على غيره، من كل من لا يضرهم في دينهم، وفرحوا بظهور الخير على يد أي أحد، وانصراف الناس عنهم إليه.

السمة الخامسة:

التواضع القلبي.

قال اللّه تعالى لأكرم الخلق: ﴿**وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ**﴾ الحجر: ٨٨.

وقال صلى اللّه عليه وآله وصحبه وسلم: **(أتاني ملك جرمه يساوي الكعبة فقال: اختر أن تكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا، فأومأ إلي جبريل أن تواضع للّه، فقلت: بل أحب أن أكون عبدا نبيا، فشكر ربي ذلك، فقال أنت أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع)** رواه أحمد والبزار برجال الصحيح وأبو يعلى عن أبي هريرة ورواه ابن عساكر عن عائشة.

وقال صلى اللّه عليه وآله وصحبه وسلم: **(ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد ملك، فإذا تواضع رفعه اللّه، وإن ارتفع قمعه اللّه، والكبرياء رداء اللّه فمن نازع اللّه قمعه)** رواه الطبراني عن ابن عباس، قال الهيثمي إسناده حسن.

وقال عبداللّه بن مسعود رضي اللّه عنه: لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحل بذروته، ولا يحل بذروته حتى يكون الفقر أحبه إليه من الغنى، والتواضع أحب إليه من الشرف، وحتى يكون حامده وذامه عنده سواء.

ففسرها أصحاب عبداللّه قالوا: حتى يكون الفقر في الحلال أحب إليه من الغنى في الحرام، وحتى يكون التواضع في طاعة اللّه أحب إليه من الشرف

في معصية الله، وحتى يكون حامده وذامه في الحق سواء. رواه أحمد في الزهد.

وقالت عائشة رضي الله عنها: إنكم تغفلون عن أفضل العبادة: التواضع. رواه أحمد في الزهد.

وروى فيه أيضا عن عبدالله بن مسعود: أن من رأس التواضع أن ترضى بالدون من المجلس، وأن تبدأ بالسلام من لقيت.

وعن الحسن قالوا: أي شيء التواضع يا أبا سعيد، قال: يخرج من بيته فلا يلقى مسلما إلا ظن أنه خير منه. أهـ.

قال الإمام الحارث المحاسبي في آداب النفوس: فمن عالج نفي العز من نفسه ووفقه الله لذلك فنال نفيه، سهل عليه المسير في طريقة محبة الله عز وجل، ومحجة الإيمان، وسبيل الاستقامة، ومدارج الصالحين، وهان عليه معالجة الصدق في عمله، واطمأنت نفسه إلى التذلل والتواضع، وطاب له طريق العدل.

لأنه لا يقدر أن يحب للناس ما يحب لنفسه وفيه العز، ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز، ولا يقدر على قبول الحق وفيه العز، ولا يقدر على أن يدوم على الصدق وفيه العز، ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز، ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز، ولا يقدر على ترك العصبية وفيه العز، ولا يقدر

على سلامة القلب وفيه العز، ولا يقدر على النصح وفيه العز، ولا يسلم من الازراء على الناس وفيه العز، فما أكثر ضرره وأعظم فساده، وما أغفل الناس عنه..

ثم قال: ولو أن رجلا صلى الغداة ثم أقبل على نفسه وأصلح خصلة من خصال العز ليس العز كله، وآخر تصدق بوزن نفسه ذهبا على أكباد جائعة من وجه طيب، لكان الأول أغبط، وكانت النعمة عليه أكبر، والشكر عليه أكثر عند أهل المعرفة والعلم، فكيف إذا أصبح وهو لم تكن له همة إلا العناية بالعز لنفسه لتجربته له ومعرفته له، وآخر أصبح ولم تكن همته ولا محبته إلا العناية بنفي العز من قلبه، ولزوم التواضع، وذل النفس لتجربته لنور التواضع، ومعرفته بفوائده، فهنيئا لمن شغْله مثل شغله، ما أنفعه من شغل، وأرضاه عند مليكه، وأروحه للقلب.

فاعتبر برجلين أمرا بالعبودية، وأحدهما أحب أن يجعل نفسه عبدا كما أمر، وأحب الآخر أن يجعل نفسه ملكا، أيّ هذين أولى بالجائزة من المولى؟ وأيهما يستأهل العقوبة الموجعة؟

ثم قال: ولا أكثر عليك من صفات فروع دوائه – يعني العز – فتمل وتعرض، ولكن أدلك على الأصل الذي إذا عالجته أتى على الأغصان كلها، وهو الإياس من جميع المخلوقين، أن يضروا أو ينفعوا، أو يعطوا أو يمنعوا، أو يحيوا أو يميتوا، فألزمه قلبك، فإنه أصل الأصول، ورأس الأمر وسنامه.

فإن كنت مريدا صادقا تحب النظر في عواقب الأمور فأغلق على نفسك باب الطمع، وافتح لها باب الإياس، وانفرد لذلك بإرادتك كلها، وتجرد في طلبه كالذي ليس له من حوائج الدنيا كلها إلا حاجة واحدة، وتعزم عزما صحيحا على أن تهب نفسك لله في بقية عمرك إن كنت تراه لذلك أهلا سبحانه وتعالى، ما أغناه عن أهل السماوات وأهل الأرضين وما أشد اضطرارهم إليه. اهـ.

وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم **(إن من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس)** قال العراقي: أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق وأبو نعيم في رياضة المتعلمين بسند جيد.

وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم **(إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد)** رواه ابن سعد وأبو يعلى بسند حسن وابن عساكر.

وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: **(بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم)** رواه مسلم.

قال الإمام الغزالي في الإحياء: فما نقل من أحواله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يجمع جملة أخلاق المتواضعين، فمن طلب التواضع فليقتدِ به، ومن رأى نفسه فوق محله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ولم يرضَ لنفسه بما رضي هو به فما أشد جهله، فلقد كان أعظم خلق الله منصبا في الدنيا والدين، فلا عز ولا رفعة إلا في الاقتداء به. أهـ.

السمة السادسة:

معرفة الفضل لأهله ونبذ الحسد.

ومن أبرز سماتهم ـ مع حسن ظنهم واعتقاد الخير في جميع المسلمين ـ: إنزال الناس منازلهم، والإقرار بالفضل لأهله، والفرح بتخصيص الله من يشاء بنعمة منه ومزية وفضل.

وبهذه السمة حرصوا على إعطاء كل ذي حق حقه.

عن علي رضي الله عنه وكرم وجهه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يقول: **(أنزلوا الناس منازلهم)**. رواه ابن عساكر.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: **(أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أن ننزل الناس منازلهم)**، رواه الخطيب والبيهقي في شعب الإيمان.

وعن جبير بن الحويرث أن عمر بن الخطاب استشار المسلمين في تدوين الديوان، فدعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم، وكانوا من نساب قريش فقال اكتبوا الناس على منازلهم، فبدأوا ببني هاشم، ثم أتبعوهم أبابكر وقومه، ثم عمر وقومه على الخلافة، فلما نظر فيه عمر قال وددت والله أنه هكذا، ولكن ابدأوا بقرابة النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله. رواه ابن سعد.

وقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وصحبه وسلم: **(إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب)** رواه أبو داؤود وعبد بن حميد والبيهقي في شعب الإيمان.

قال الإمام الغزالي في الإحياء: ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه، فيريد زوال تلك النعمة، فلا يجد سبيلا إليه إلا بالقدح فيه. فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه، لأنه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وثناءهم عليه وإكرامهم له، وهذا هو عين الحسد، وهو غير الغضب والحقد، فإن ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن، والرفيق الموافق. أهـ.

السمة السابعة:

كثرة الذكر لله تعالى.

فإن كثرة ذكر الله من أركان طريقهم، بل هو المعول عليه بالحضور مع الله، بعد تطهير الباطن من الخبائث، وهو منشور الولاية.

قال الله تعالى ﴿ **فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ** ﴾ البقرة: ١٥٢.

وقال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣** ﴾ الأحزاب: ٤١ - ٤٣.

وقال تعالى: ﴿ **وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا** ﴾ الكهف: ٢٨.

وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: **(إن الله يقول: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه)** رواه أحمد وابن ماجة بإسناد حسن والبيهقي وابن حبان عن أبي هريرة، ورواه ابن النجار والحاكم وقال صحيح الإسناد عن أبي الدرداء.

وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: **(يقول الله: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن**

ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة وابن حبان.

وعن عبدالله بن بسر أن رجلا قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به. قال: **(لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله)** رواه أحمد والترمذي وقال حسن غريب وابن أبي شيبة وابن ماجة وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقي وابن المبارك والطبراني في الأوسط.

عن معاذ رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال: **(ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع، ثم تضرب به حتى ينقطع، ثم تضرب به حتى ينقطع)** رواه ابن أبي شيبة وأحمد والطبراني.

وعن أبي طلحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال: **(أتاني الملك فقال: يا محمد أما يرضيك أن ربك يقول أنه لا يصلي عليك أحد من أمتك صلاة إلا صليت عليه عشرا، ولا يسلم عليك أحد من أمتك تسليمة إلا سلمت عليه عشرا؟ قلت: بلى أي رب)** رواه أحمد والنسائي والدارمي وابن حبان والحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي والبيهقي وابن أبي شيبة.

وقال صلى اللّٰه عليه وآله وصحبه وسلم: **(من صلى علي صلاة صلى اللّٰه عليه بها عشرا)** رواه أحمد ومسلم وأبو داؤود والترمذي والنسائي وابن ماجة.

وقال صلى اللّٰه عليه وآله وصحبه وسلم: **(إن أقربكم مني يوم القيامة في كل موطن أكثركم علي صلاة في الدنيا)** رواه البيهقي وابن عساكر.

وقال صلى اللّٰه عليه وآله وصحبه وسلم: **(إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا. قالوا: وما رياض الجنة ؟ قال: حلق الذكر)**. رواه أحمد والترمذي وحسنه وأبو يعلى والبيهقي والطبراني.

وقال صلى اللّٰه عليه وآله وصحبه وسلم: **(إن للّٰه ملائكة سيّاحين في الأرض ـ فضلا عن كتّاب الناس ـ يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون اللّٰه تنادوا: هلُمّوا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ فيقولون: يسبّحونك ويكبّرونك ويحمدونك ويمجّدونك، فيقول: هل رأوني ؟ فيقولون: لا واللّٰه ما رأوك. فيقول: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر تسبيحا، فيقول: فما يسألوني؟ فيقولون: يسألونك الجنة، فيقول: وهل رأوها ؟ فيقولون: لا واللّٰه يا رب ما رأوها، فيقول: فكيف لو رأوها ؟ فيقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة، قال: فمِمَّ يتعوذون ؟ فيقولون: من النار، فيقول اللّٰه: وهل رأوها ؟ فيقولون: لا واللّٰه يا رب ما رأوها، فيقول:**

كيف لو رأوها ؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة، فيقول: فأشهدكم أنى قد غفرت لهم، فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) رواه أحمد والبخاري ومسلم وابن حبان وأبو نعيم وأحمد والطيالسي والبيهقي والترمذي وقال حسن صحيح.

وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: **(لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده)** رواه أحمد وعبد بن حميد ومسلم وأبو يعلى وابن حبان والترمذي.

وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: **(ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجه الله إلا ناداهم مناد من السماء: قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات)** رواه أحمد وأبو يعلى.

قال الإمام عبدالله بن علوي الحداد:

وإن رمت أن تحظى بقلب منور ... نقيٍّ عن الأغيار فاعكف على
وثابر عليه في الظلام وفي الضياء ... وفي كل حال باللسان وبالسرّ
فإنك إن لازمته بتوجُّهٍ ... بدا لك نور ليس كالشمس والبدر
ولكنه نور من الله وارد ... أتى ذكره في سورة النور فاستقر

السمة الثامنة:

حسن البيان ونبذ الجدال بغير التي هي أحسن.

فكل قادر منهم يحسن البيان والتوضيح للحق، قولا وفعلا وحالا، دعوة للحق تعالى، وتقريبا إليه، وحرصا على عباده وشفقة عليهم ورحمة بهم.

قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى** ﴾ يوسف: ١٠٨.

وقال تعالى: ﴿ **ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ** ﴾ النحل: ١٢٥.

وقال تعالى: ﴿ **وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ** ﴾ العنكبوت: ٤٦.

وقال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ** ﴾ الأنعام: ١٢١.

وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: **(ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل)** رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح، وابن ماجه والطبراني والحاكم وقال صحيح الإسناد.

وقال الأوزاعي: إذا أراد الله بقوم شرا أعطاهم الجدل ومنعهم العمل.

وقال الإمام الغزالي في الإحياء عن أهل العصر الأول: كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح بابا من الجدل والمماراة.

ثم قال: ومن السنة ترك الجدل في الدعوة إلى السنة، قال الإمام مالك: الجدال في الدين ليس بشيء. أهـ.

وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: **(إذا رأيتم الذين يَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ منه فأولئك الذين سَمَّى الله فَاحْذَرُوهُم)** رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح، وابن ماجه.

لا ينطقون عن الفحشاء إن نطقوا ولا يمارون من مارى بإكثار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

السمة التاسعة:

مقابلة السيئة بالحسنة والحرص على نفع الخلق والسعي في مصالحهم.

قال الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾ فصلت: ٣٤.

وقال تعالى: ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ آل عمران: ١٣٤.

وقال تعالى: ﴿ **فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** ﴾ الشورى: ٤٠.

وعن عبدالله بن سلام في صفة النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في التوراة **(لا يجزي بالسيئة مثلها ولكنه يعفو ويصفح)** رواه ابن عساكر.

وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: **(إذا أوقف الله العباد، نادى منادٍ: ليقم من أجره على الله، فليدخل الجنة. قيل: من ذا الذي أجره على الله ؟ قال العافون عن الناس، فقام كذا وكذا ألفا فدخلوا الجنة بغير حساب)** رواه الطبراني وحسنه المنذري ورواه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم.

وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: **(من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا**

والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه). رواه أحمد ومسلم وأبو داؤود والترمذي وابن ماجة وابن حبان.

وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: **(صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر)** رواه الطبراني بإسناد حسن.

وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: **(أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهرا، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يثبتها له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام)** رواه ابن أبي الدنيا والطبراني بإسناد حسن.

فمِن آكد ما يحرص عليه أهل الطريق صلاح العباد والبلاد، ونفعهم بأنواع المنافع، الدينية والدنيوية، الظاهرة والباطنة، العامة والخاصة، والسعي في مصالحهم، وخدمتهم، بل ومراعاة حق الحيوان والنبات والجماد.

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: قال الحاكم بسنده إلى عمرو بن حفص، قال: خرج ابن المبارك من بغداد، يريد المصيصة، فصحبه الصوفية، فقال لهم: أنتم لكم أنفس تحتشمون أن ينفق عليكم، يا غلام هات الطست،

فألقى عليه منديلا، ثم قال: يلقي كل رجل منكم تحت المنديل ما معه، فجعل الرجل يلقي عشرة دراهم، والرجل يلقي عشرين، فأنفق عليهم إلى المصيصة، ثم قال: هذه بلاد نفير، فنقسم ما بقي، فجعل يعطي الرجل عشرين دينارا، فيقول: يا أبا عبدالرحمن، إنما أعطيت عشرين درهما، فيقول: وما تنكر أن يبارك الله للغازي في نفقته.

وروى أيضا بسنده إلى إسماعيل بن عياش، قال: حدثني أصحابي أنهم صحبوه -يعني ابن المبارك - من مصر إلى مكة، فكان يطعمهم الخبيص، وهو الدهر صائم.

ونقل عنه أنه قال للفضيل ابن عياض: لولاك وأصحابك ما اتجرت.

وكان ينفق على الفقراء كل سنة مائة ألف درهم.

وروي أيضا عن علي بن الحسن بن شقيق، قال: كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج، اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون: نصحبك، فيقول: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم، فيجعلها في صندوق، ويقفل عليها، ثم يكتري لهم، ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم، ويطعمهم أطيب الطعام، وأطيب الحلوى، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، فيقول لكل واحد: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من طرف المدينة ؟ فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا قضوا حجهم، قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري

لهم من متاع مكة ؟ فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يخرجهم من مكة، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فيجصص بيوتهم وأبوابهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام، عمل لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وسُرُّوا، دعا بالصندوق، ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرته، عليها اسمه.

ونقل الذهبي في سير أعلام النبلاء عن شيبة بن نعامة قال: لما مات علي بن الحسين وجدوه يعول مئة أهل بيت. وقد أخرج ذلك ابن عساكر وابن سعد وأبونعيم.

ونقل في سير أعلام النبلاء عن علي الرضا عن أبيه موسى الكاظم عن جده جعفر الصادق قال: قال علي بن الحسين: إني لأستحيي من الله أن أرى الاخ من إخواني، فأسأل الله له الجنة، وأبخل عليه بالدنيا، فإذا كان غدا قيل لي: لو كانت الجنة بيدك لكنت بها أبخل وأبخل. وقد أخرج ذلك ابن عساكر.

وذكر الذهبي عن ابن عيينة، عن أبي حمزة الثمالي، أن علي بن الحسين كان يحمل الخبز بالليل على ظهره يتبع بها المساكين في الظلمة، ويقول: إن الصدقة في سواد الليل تطفئ غضب الرب. كما رواه ابن عساكر وأبو نعيم.

وذكر الذهبي عن عمرو بن ثابت قال: لما مات علي بن الحسين، وجدوا بظهره أثرا مما كان ينقل الجرب بالليل إلى منازل الارامل.

وعن ابن اسحاق قال: كان ناس من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسين، فقدوا ذلك الذي كانوا يؤتون بالليل.

السمة العاشرة:

المحبة، وإيثار الحق تعالى على ما سواه.

قال الله تعالى: ﴿ **فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ المائدة: ٥٤.

وقال تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ البقرة: ١٦٥.

وقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ** ﴾ التوبة: ٢٤.

وعن عتبة قال: بايعت رسول الله سبع بيعات، خمسا على الطاعة، واثنتين على المحبة. رواه البغوي وابن عساكر من طريق ابي نعيم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: **(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)**. رواه أحمد والبخاري ومسلم وعبد بن حميد والنسائي وابن ماجة والدارمي وابن حبان.

وفي رواية لأحمد: **(حتى أكون أحب إليه من نفسه)**.

وفي رواية للبخاري والنسائي: **(والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده).**

وعن عبدالله بن هشام قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وهو آخذ بيد عمر ابن الخطاب، فقال له عمر: **يا رسول الله.. لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال له النبي: (لا.. والذي نفسي بيده؛ حتى أكون أحب إليك من نفسك)، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال له النبي: (الآن يا عمر).** رواه البخاري.

وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: **(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الأيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه؛ كما يكره أن يقذف في النار)** رواه الطيالسي وأحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان والبغوي والطبراني.

وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: **(من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله.. فقد استكمل الإيمان).** رواه أبو داؤود بإسناد صحيح.

وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: **(أَحِبُّوا الله لما يَغْذُوكُمْ به من نِعَمِهِ وَأَحِبُّونِي بحب الله وَأَحِبُّوا أهل بيتي بحبي)** رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

قال الإمام القشيري في رسالته: ومن قوي حبه تسرمد شربه، ومن صار الشراب له غذاء لم يصبر عنه.

وأنشدوا:

عجبت لمن يقول ذكرت ربي ... فهل أنسى فأذكر من نسيتُ
شربت الحب كأسا بعد كأسٍ ... فما نفذ الشراب ولا رويتُ

ويقال: كتب يحيى بن معاذ إلى أبي يزيد البسطامي: من شرب كأسا من المحبة لم يظمأ بعده، فكتب إليه أبو يزيد: عجبت من ضعف حالك، هاهنا من يحتسي بحار الكون وهو فاغر فاه. يستزيد.

ثم قال: وأما محبة العبد للّه تعالى: فحالة يجدها من قلبه، تلطف عن العبارة، تحمله على التعظيم له، وإيثار رضاه، وقلة الصبر عنه، والاهتياج إليه، وعدم القرار من دونه، ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه.

ثم قال: وقيل: أوحى اللّه تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود، إني حرَّمت على القلوب أن يدخلها حبي وحب غيري فيها.

ثم قال: وعلى قدر المحبة يكون الشوق. أهـ.

وقال الإمام الغزالي في الإحياء: لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة، إما محبة الدنيا وإما محبة اللّه، وهما في القلب كالماء والهواء في القدح، فالماء إذا دخل خرج الهواء، ولا يجتمعان.

وقال: فان المحبة للّه هي الغاية القصوى من المقامات، والذروة العليا من الدرجات، فما بعد إدراك المحبّة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها، وتابع من توابعها، كالشوق والأنس والرضا وأخواتها، ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها، كالتوبة والصبر والزهد وغيره.

وقال: أول ما ينبغي أن يتحقق انه لا يتصور محبة إلا بعد معرفة وإدراك..، فكل ما في إدراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك..، فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء الملذ، فان تأكد ذلك الميل وقوى سمي عشقا.

وقال: وسمى النبي الصلاة قرة عين، وجعلها أبلغ المحبوبات، ومعلوم انه ليس تحظى بها الحواس الخمس، بل حس سادس مظنته القلب..، فتكون لا محالة لذة القلب بما يدركه من الأمور الشريفة أتم وأبلغ.

ثم قال: من أحب غير اللّه -لا من حيث نسبته إلى اللّه - فذلك من جهله وقصوره في معرفة اللّه تعالى، وحب الرسول صلى اللّه عليه وآله وصحبه و سلم محمود، لأنه عين حب اللّه تعالى، وكذلك حب العلماء والأتقياء، لأن محبوب المحبوب محبوب، ورسول المحبوب محبوب، ومحب المحبوب محبوب، وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل، فلا يتجاوزه إلى غيره، فلا محبوب في الحقيقة عند ذوى البصائر إلا اللّه تعالى، ولا مستحق للمحبة سواه.

إلى أن قال: ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبَّر عنها رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وصحبه وسلم حيث قال حاكيا عن ربه تعالى: **(أعددت**

لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر). رواه البخاري. أهـ.

قال الإمام الحداد:

محبــتهم ديــني وفرضــي وســنتي	وعروتــي الـوثقى وأفضـل مـا عنـدي
وتـذكـارهم روحـي ورَوحـي وراحـتي	ولســت بشــيء إن بلــونيَ بالصــدِّ

ولصدقهم في محبة اللّه تعالى كانوا من أزهد الناس في كل ما لا يقربهم إليه، ولا يعينهم على طاعته، وكانوا أسرع وأشجع المجاهدين في سبيل اللّه، جهاد الحق الخالص، لتكون كلمة اللّه هي العليا.

ومعلوم أن كل ما يتناقض مع ماهية التصوف أو سمة من سمات أهل طريقه فليس من التصوف في شيء.

وباللّه التوفيق، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

والحمد للّه رب العالمين.

الفهرس: